

علم النفس وإثراء عقلية منتجي الخطاب الديني

أ.د. طريف شوقي محمد فرج(*)

الملخص العربي

يهدف المقال إلى الكشف عن كيفية استثمار نتائج ومكتشفات وقوانين علم النفس المعاصر في إعداد جيل من الدعاة يكون قادرًا على فهم الواقع الراهن واستيعاب التطورات الحادثة في الجوانب المادية والتقنية والمؤسسية والنظمية في المجتمع، حتى يكون لديهم القدرة على مواكبتها، وأن يكون لديهم القدرة على نقل وتوضيح وترسيخ المعارف الإسلامية المحورية للأفراد المتنوعين عبر مراحلهم العمرية المختلفة. ومما لا شك فيه أن علم النفس بمقدوره الإسهام في بلوغ الأهداف السابقة من خلال عدة المحاور هي: أولاً: تحليل عمل الداعية لتحديد المهام التي يقوم بها ومنها إدارة الحوار بطريقة فعالة مع الأطراف المتعددة، وشرح أسباب وملابسات الموضوع والقواعد الشرعية الحاكمة له للمستمعين، والتعامل الفعال مع ظاهرة التطرف الفكري تجنباً لآثارها السلبية المتنوعة على المجتمعات الإسلامية. ثانياً: المهارات المطلوب توافرها لدى الداعية، وكيفية تنميتها وأهمها القدرات الإبداعية، ومهارات التفكير الاستدلالي والناقد، والحكمة، والتفكير متعدد الرؤى. ثالثاً: خصائص الخطاب الديني القويم ويتمثل أبرزها في استخدام مفاهيم معرفة تعريفاً محدداً، والتقييم النقدي للنظريات المطروحة على الساحة العلمية، وإبراز التفاعل بين التراث النفسي والإسلامي، وتجنب الاعتماد على الآراء الأحادية غير المثبتة. رابعاً: تطبيقات علم النفس في مجال تنمية عقلية منتجي الخطاب الديني القويم وينصب الاهتمام هنا على كيفية استفادة الداعية من نتائج ومكتشفات وقوانين علم النفس المعاصر في إثراء عقليته على النحو الذي يمكنه من إنتاج خطاب ديني قويم، ولعل أبرز التطبيقات في ذلك المجال توفير بنية فكرية ومعلوماتية للداعية تيسر عليه إنتاج خطاب ديني قويم، وإعداد دليل المفاهيم النفسية في التراث الإسلامي بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية، والمشاركة في برامج تأهيل الأئمة العاملين بوزارة الأوقاف لجعلهم أكثر وعياً بأسس علم النفس المعاصر وتطبيقاته.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني - علم النفس المعاصر - مهارات التفكير الاستدلالي - مهارات الناقد

(*) أستاذ علم النفس الاجتماعي والقيادة جامعة بني سويف

Psychology and Enriching The Mentality of Religious Discourse Producers

Prof. Dr. Tarif Shawqi Muhammad Farag^(*)

Abstract

This article aims to highlight the role of psychology in the issue of renewing religious discourse. The article began with an introduction that focused on the concept of renewing religious discourse in terms of the basic issue that the writer adopted, which is the necessity of renewing the mentality of religious discourse producers. As the writer indicated that speech is the shadow of thought, and if we want to correct the speech, we must first enrich the thought, and as long as the thought comes from the mind; therefore, it is necessary to adopt a special strategy to develop the mentality of religious discourse producers. This strategy aims to develop basic aspects of the Islamic preacher, such as: linking different sciences with Islam, adopting multi-vision thinking, becoming wiser more and more, acquiring logical thinking and creative thinking skills, acquiring the skills of the argument, and enriching self-development and time management skills. The article also manipulates the issue of contributions of psychology to the renewing religious discourse field through four main axes: First: work analysis the preacher job to determine the tasks he does, such as listening skills, the ability to persuade, dealing with diverse cultures, and the ability to modify behavior, and so on. Second: specify the skills and abilities required to be a preacher, and how to develop them, such as leadership skills, creativity, and social skills, logical and deductive abilities...etc. Third: Characteristics of perfect religious discourse; Such as the use of Operationally defined concepts for all people, critical evaluation of different religious theories before relying on any of them, realizing the common factor between psychological literature and religious one, realizing the cultural peculiarity of the Islamic perspective, avoiding dependence on single-minded opinions, commitment to objectivity...etc Fourth: The applications of psychology in the field of developing the mentality of the perfect religious discourse

^(*) Professor of Social Psychology and Leadership, Beni Suef University

producers, the most important one is: providing an intellectual and informational structure for the preacher with the presentation of some models of projects related to these structures, and the article concluded with a set of proposals that facilitate the achievement of these goals.

Keywords: religious discourse - contemporary psychology - deductive thinking skills - critical skills

مقدمة:

أنزل الله رسالاته على رسله ليهتدي بها الناس، وبعد انتقال الرسل انتقلت الرؤية إلى الدعاة الذين تشرفوا بأن يكونوا ورثة الأنبياء وناقلي دعوتهم إلى عامة الناس؛ ومن ثم فإن الارتقاء بالمستوى المعرفي والمهاري للدعاة يعد من المهام الجليلة التي تُشرف كل من يضع لبنة فيها لتشييد تلك الصروح المفعمة بالحياة، والذين يساهمون في جعل الناس أحياء بعلمهم والمحتوى الثري الذي ينقلونه إليهم من درر تتمثل في محتوى آيات القرآن وتفسيراته الملهمة، وأحاديث رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وسيرته العطرة الزكية.

ونظرا لأن الدعوة الإسلامية التي يتم تناقلها عبر العصور تحتاج إلى دعاة واعين بمفردات عصرهم، ومدركين للظروف والمتغيرات الثقافية والحضارية والبيئية والاجتماعية والسياسية والجغرافية المحيطة بهم، والتي يجب أن يضعوها في الحسبان وهم يبلغون دعوتهم إلى ذوي المستويات العمرية والفكرية والمادية المختلفة، وحري بالذكر إن عدم القيام بتلك المهمة بكفاءة قد يسبب بعض المشكلات الفكرية والسلوكية اللاحقة لمن يتلقى عنهم، وهو ما نجده بالفعل على الساحة المعاصرة في العديد من بلداننا الإسلامية، ولدى بعض فئات المسلمين في المهجر، والذي تجسّد في ظهور مشكلات جمة كنا في غنى عنها من قبيل ما نشهده من تعصب طائفي، وتطرف فكري، وسلوكيات غير صحية، وشيوع ظواهر اجتماعية سلبية كالطلاق، والإدمان، ونقص

الإنتاجية، وعدم احترام الوقت، والتعارض الوهمي بين مقتضيات التدين ومتطلبات الوطنية، وتدني معدلات المشاركة في الأنشطة التطوعية، وعدم العناية بالبيئة الطبيعية، ونقص التماسك الأسري، والفهم المغلوط، وأحادية الرؤية للنصوص الدينية.

من أجل ذلك، ومن أجل أن تكون الدعوة إلى الإسلام واضحة كالمحجة البيضاء، ومن قبيل النقد الذاتي، فإننا لا نبرئ كل الدعاة من الوقوع في بعض تلك المشكلات الفكرية والأدائية التي قد تظهر في ممارسات البعض وفي خطابهم الدعوي، وهو ما أدى إلى ظهور ما يصفه البعض بضرورة مراجعة وتجديد الخطاب الديني.

ومن هذا المنطلق، ومن إيماني بأن قضية تجديد الخطاب الديني تتبع من قضية أكثر عمقاً منها، وتشكل المنابع التي تتبع منها تلك المشكلة ألا وهي ضرورة تجديد عقلية منتجي الخطاب الديني، فالقول ظل الفكر، وإذا أردنا أن نصح القول فعلينا أولاً بإثراء الفكر، وما دام الفكر يصدر عن العقل، لذا فإنه حري بنا تبني استراتيجية محددة لتطوير عقلية منتجي الخطاب الديني وتنمية البنية الفكرية التحتية لها على النحو الذي يمكّن هؤلاء الدعاة الأجلاء من إنتاج خطاب ديني فاعل، ومتفاعل مع الواقع، ييسر على متلقيه الفهم العميق لواقعه الشخصي والأسري والمجتمعي، بل والدولي، وبمكّنه أيضاً من التحليل النقدي لقضايا ومشكلاته على النحو الذي يعينه على أن يضع أيديه على الأسباب الجوهرية الكامنة خلف الأحداث التي يراها، ويساعده على ابتكار طرق وأساليب إبداعية للتغلب على أو التعايش مع تلك المشكلات إن لم يحالفه الحظ في التغلب عليها.

خلاصة القول إننا بحاجة إلى بناء عقلية الداعية الذي ينتج الخطاب

- الديني الذي نرومه، تلك العقلية التي تجعله قادراً على أن:
- يدرك طبيعة العلاقة التفاعلية بين العلوم الحديثة والمعاصرة وبين الإسلام، وكيف يتمكن بموجب تلك المعرفة أن يوظف النتائج الموثقة لتلك العلوم في خدمة الغايات الإسلامية.
 - يتبنى التفكير متعدد الرؤى الذي يستطيع من خلاله أن ينظر إلى المشكلات والظواهر والمواقف التي يواجهها من زوايا متعددة تمكنه من التفسير الأكثر واقعية لها، ومن ثم من التصرف الأكثر فاعلية معها، وبطبيعة الحال سيمتد هذا الأثر لمستمعيه ومريديه ومحبيه.
 - يصبح أكثر حكمة مما كان عليه، ويسعى دوماً لأن يتحلى بالسلوك الحكيم الذي يبسر عليه أن يكون لديه رؤية مستقبلية تحكم وتحدد وتوجه مستقبله الشخصي والمهني وأدائه اليومي أيضاً.
 - يطرح أفكاراً وحلولاً مبدعة للمشكلات التي تواجهه في ممارساته المهنية والشخصية، ويستوعب التوجهات الإبداعية في الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين، ويوظف ذلك كله في موضوعات خطبه، ومحتوياتها، وسلوكياته مع المتعاملين معه.
 - يعتمد في تحاوره مع مخالفيه على قوة المنطق والتي تعتمد على الأدلة والبراهين العقلية والاستدلالية والواقعية في إثبات ما يدعيه من حجج، أو في تفنيد ما يستكره من دعاوى، بتعبير أبسط أن يحل صراعاته مع مخالفيه بقوة المنطق بدلاً من أن يعتمد على منطق القوة.
 - يدير وقته بدلاً من أن يديره وقته، فكما هو معروف فإن جزءاً لا يستهان به من رأسمال الداعية يتمثل في وقته؛ ومن ثم فإن الإدارة الرشيدة للوقت تعد ركناً رئيسياً في دعائم بنائه الدعوي.
 - يكون قادراً وراغباً دوماً في تطوير ذاته، انطلاقاً من أن الواقع الذي يدعو

الناس لإصلاحه أو التعايش معه يتغير بمعدل قد يكون أسرع من معدل تغييره هو، ومن ثم فقد تحدث فجوة بينهما قد تقلل من فاعليته كداعية، وبناءً عليه فإنه لزام على الداعية أن يتبنى شعار "أن من لا يتطور سيتهور".

وبناءً على ذلك فإن الهدف الرئيسي لهذه الورقة البحثية يتمثل في كيف نستثمر نتائج ومكتشفات وقوانين علم النفس المعاصر في إعداد جيل من الدعاة يكون قادرًا على فهم الواقع الراهن بما يحويه من أشخاص، وما يصدر عنهم من سلوكيات، وما يتبنونه من اتجاهات قد تؤثر إيجابًا أو سلبيًا في تحديد مدى تتاغم تصرفاتهم اليومية مع مقتضيات الشريعة الإسلامية الغراء، وأن يستوعبوا التطورات الحادثة في الجوانب المادية والتقنية والمؤسسية والنظرية في المجتمع حتى يكون لديهم القدرة على مواكبتها والتعامل الفعال معها بما يحفظ الثوابت الإسلامية، وأن يكون لديهم القدرة على نقل وتوضيح وترسيخ المعارف الإسلامية المحورية للأفراد المتنوعين عبر مراحلهم العمرية المختلفة، وبطبيعة الحال فإنه بمقدور علم النفس الإسهام في بلوغ تلك الغايات من خلال المحاور التالية:

أولاً: تحليل عمل الداعية لتحديد المهام التي يقوم بها.

ثانياً: تحديد المهارات والقدرات المطلوب توافرها في الداعية، وكيفية تنميتها.

ثالثاً: خصائص الخطاب الديني القويم.

رابعاً: تطبيقات علم النفس في مجال تنمية عقلية منتجي الخطاب الديني القويم.

وسوف نعرض بقدر من التفصيل لكل محور من المحاور السابقة فيما يلي:

أولاً: تحليل عمل الداعية لتحديد المهام التي يقوم بها

من خلال تحليل عمل الداعية لتحديد المهام التي يقوم بها بشكل يومي ودوري، وجدنا أنها تتمثل، بشكل عام، فيما يلي:

- الاستماع بدرجة عالية من التركيز للمتحدث والسائل.
- إدارة الحوار بطريقة فعالة مع الأطراف المتعددة.
- شرح أسباب وملايسات الموضوع والقواعد الشرعية الحاكمة له للمستمعين.
- إعداد تقارير عاجلة ودورية حول مسائل متنوعة للجهة التي يتبعها.
- مصارحة المستمع بآراء قد تتعارض مع رغباته.
- السيطرة على المنازعات والتلاسن الكلامي بين رواد المسجد حول مسألة خلافية.
- بث الطمأنينة لدى السائل لكي يعرض مشكلته وخاصة في المسائل المثيرة للحرج.
- الاستدلال من الوقائع المعروضة على الحكم الشرعي.
- الإصغاء إلى كلام المتحدث، والتوقف عند بعض نقاط التعارض والتناقض فيه.
- التعامل مع مواقف مستحدثة يصعب القياس عليها.
- التحكم في انفعالاته إزاء بعض التجاوزات التي تحدث أمامه أو توجه إليه.
- الالتزام بوقت محدد للتحدث في مسألة معينة.
- الغوص في أساس الموضوع الذي يتحدث بشأنه.
- التعامل مع فئات عمرية مختلفة.
- التعامل مع أشخاص من أصول ثقافية وبيئات اجتماعية متنوعة.
- التعامل مع أشخاص متفاوتي القدرات والرغبات لإدارة أنشطة تطوعية.
- التعامل مع أشخاص متفاوتين في مستوى الذكاء والقدرة على الاستيعاب.
- ضبط وإدارة التفاعل بين أكثر من طرف.

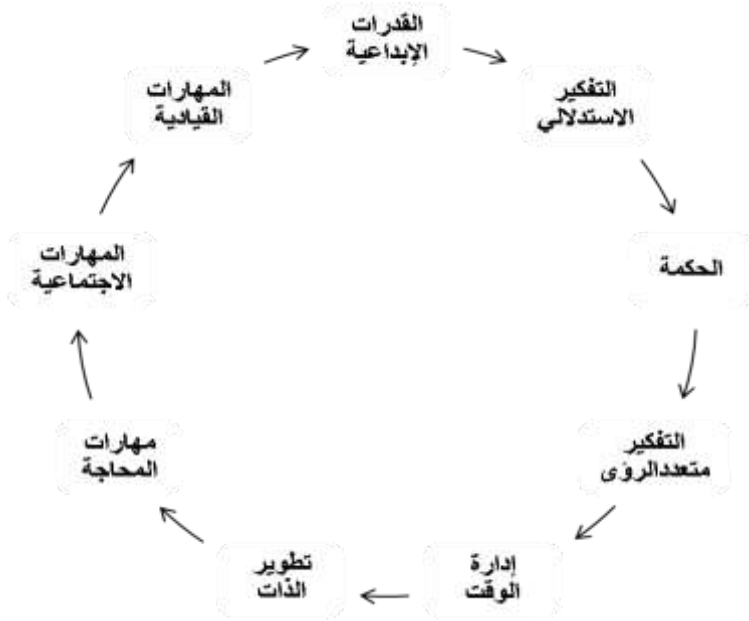
- التعامل مع أشخاص مضطربين نفسياً.
- تفسير ظواهر وسلوكيات عامة وخاصة سلبية أو إيجابية.
- التعامل مع أنماط متعددة من الشخصيات.
- تقييم الذات والوعي بأوجه قصورها وتطويرها.
- إدراك دور العوامل البيئية والطبيعية في تشكيل السلوك.
- تزويد الجمهور بأفكار ومعلومات محددة، وواضحة، ومفيدة، حول الدين (العقيدة - الشريعة - الأخلاق)، ودوره في توجيه سلوك الفرد، وتنظيم علاقته بربه، وبالآخرين.
- تغيير بعض الأفكار الراسخة في أذهان بعضهم والتي لا تتفق مع الشرع بل وقد تتعارض معه، سواء كانت مستمدة من فلسفات وأطر فكرية معاصرة، أو نظم وعادات اجتماعية محلية متوارثة منذ القدم، أو نابعة من ظروف اجتماعية وثقافية حديثة أو آنية.
- تصحيح أفكار خاطئة لدى البعض نتجت عن اللبس في فهم نصوص معينة أو الزلل في أوجه الاجتهاد والتأويل الأخرى، على نحو أدى إلى تحريف فهم بعض المفاهيم الشرعية.
- تعديل سلوكيات وعادات ذات طابع سلبي من شأن تصحيحها تحقيق المنفعة العامة، والخاصة أيضاً، مثل: إساءة التعامل مع وقت العمل، أو وقت الفراغ، أو البيئة الطبيعية، بما فيها من كائنات كالأنهار، والأشجار، والطرق، والمرافق العامة.
- تعليم وتدعيم سلوكيات ذات طابع إيجابي يترتب على صدورها تحقيق الصالح العام والخاص من قبيل تنمية عادات المشاركة المجتمعية لدى الأفراد.
- الرد على الاعتراضات التي قد يثيرها المستمعون حول بعض الأمور

الدينية والاجتهادات الفقهية.

- مراعاة تفاوت الجمهور من حيث الاهتمامات، والاتجاهات، والقدرات، وابتكار أفضل السبل لاستثمار هذا التفاوت في تحقيق أهدافه الدعوية بدلاً من أن ينظر إليه باعتباره عائقاً يحول دون بلوغ تلك الأهداف.
- إدارة المنشآت التابعة للمسجد، والأفراد الذين يعملون معه أو تحت إمرته.
- تنمية مهارات الاستخدام الحكيم للإنترنت (طريف شوقي، ٢٠١٦).
- التعامل الفعال مع ظاهرة التطرف الفكري تجنباً لآثارها السلبية المتنوعة على المجتمعات الإسلامية (طريف شوقي، ٢٠١٧)، وخاصة أننا ما زلنا في حاجة للمزيد من النظريات النفسية التي تفسر التطرف، لكي نتعرف على الأفراد الأكثر عرضة للتطرف وما يجب أن نفعله معهم (2016, Sewell & Hulusi).

ثانياً: المهارات المطلوب توافرها لدى الداعية، وكيفية تنميتها

يوضح الشكل التالي رقم (١) طبيعة المهارات والقدرات المطلوب توافرها لدى الداعية منتج الخطاب الديني:



شكل رقم (١)

المهارات والقدرات المطلوب توافرها لدى الداعية منتج الخطاب الديني القويم وسوف نعرض بقدر من التفصيل لتلك المهارات على النحو التالي:

١- **القدرات الإبداعية:** تتمثل أهمية الإبداع، على حد قول "هي كيكانج"، في أن أي نصر يحرزه الإنسان في صراعه مع الطبيعة، لا يمكن الحصول عليه دون إبداع، ولا غرابة في ذلك فالإبداع مفتاح بقاء الأمم (He,2017)، وتتمثل القدرات الإبداعية الداعية من أن يتعامل مع جمهوره، والمشكلات التي يواجهها، على نحو أكثر عمقاً، وشمولاً، وتطويراً، ومن أبرز تلك القدرات:

- **الطلاقة الفكرية:** وتشير إلى قدرة الداعية على أن يطرح المزيد من الأفكار حول موضوع معين، والعمل في الوقت ذاته على تنشيط أذهان المتلقين لكي يطرحوا بدورهم، أفكاراً متعددة حوله.

- **المرونة الفكرية:** وتتمثل في تعدد زوايا النظر للواقع، والنصوص، مع

الأخذ في الحسبان المتغيرات العديدة في الموقف، فضلاً عن مواجهة المشكلات من خلال اقتراح أكبر عدد من الحلول المتنوعة والفعالة لها.

- الأصالة الفكرية: وتتضمن القدرة على ابتكار أساليب جديدة للعمل، واقتراح أفكار خصبة متفردة لاستيعاب طاقات أفراد الجمهور، وعرض الأفكار والمعلومات عليهم بطرق مبتكرة.

وتبرز ضرورة تنمية تلك الطائفة من القدرات في أن الداعية يواجه مشكلات متعددة منها ما يتصل بفهمه للنصوص، واستيعابه للكتابات المعاصرة والتراثية، فضلاً عن ضرورة ربطها بالواقع المعاصر، وتوظيفها لإثرائه بطرق مبتكرة، ويجب أن يكون لديه القدرة على أن يعبر عن الفكرة الواحدة بأكثر من معنى، وأن يفكر في الموضوع الواحد بأكثر من زاوية، وأن يطرح رؤى متفردة للتعامل معه.

٢- مهارات التفكير الاستدلالي والناقد:

أ- مهارات التفكير الاستدلالي: تكمن أهمية تلك المهارات، والتي تتمثل في الاستقراء والاستنباط، والاستنتاج في أنها تشكل لب عملية الاجتهاد الفقهي والذي يمكّن الداعية من مواكبة التطورات الحادثة في الواقع، وتنزيل النصوص الشرعية عليها.

ب- مهارات التفكير الناقد: وتشمل القدرة على تقييم اجتهادات العلماء الآخرين التراثية أو المعاصرة، تقييمًا نقدياً موضوعياً لا يتأثر بأثر الهالة، أو الألفة، بل يعتمد، في المقابل، على إدراك دور المتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أحاطت بـ/ وأدت إلى تلك الاجتهادات.

٣- الحكمة: من المفترض أن توفر مهارات الحكمة لدى الداعية يجعله أكثر فاعلية في أداء مهامه الدعوية، وجدير بالذكر أن الحكمة تتضمن المهارات

الفرعية التالية:

- النظر إلى الأمور من منظور أوسع.
 - القدرة على فهم وتفهم الطبيعة البشرية.
 - المعرفة الخبيرة بأساليب إدارة الحياة العملية على نحو رشيد.
 - الوعي بحدود المعرفة والقدرات الشخصية.
 - التوجه والالتزام الأخلاقي.
 - التحكم في الذات.
 - الموازنة بين الجوانب المتعددة.
 - توظيف الفرد ما يعرفه لتحسين نوعية حياته وحياة الآخرين.
- ٤- التفكير متعدد الرؤى، ويتضمن التفكير متعدد الرؤى العناصر التالية:
- تجنّب إصدار أحكام مفرطة في التعميم على الأشياء والأفكار والأشخاص دونما معلومات كافية ودقيقة.
 - قدرة الفرد على إدراك جوانب التكامل بين وجهات النظر المختلفة لإثراء رؤيته حول الموضوع.
 - الانفتاح العقلي، قدر الإمكان على الخبرات المتاحة، وتحمل وجهات النظر المختلفة وتقبلها.
 - النظرة الشبكية للظواهر موضع الاهتمام، والتي تفترض أن كل ظاهرة مسئول عن حدوثها مجموعة من المتغيرات المتفاعلة معاً، وليس سبباً واحداً فقط.
 - الحكم على الأشياء في ضوء مبدأ النسبية الثقافية، والموقفية، فما هو مناسب لثقافة قد لا يكون كذلك لثقافة أخرى.
 - رؤية الأشياء في إطار أوسع، ومن زوايا متعددة (طريف شوقي، ٢٠٠٩).
- ٥- مهارات إدارة الوقت: يقصد بإدارة الوقت قدرة الفرد - الداعية على تخطيط،

والتحكم في توزيع وقته على المهام التي يمارسها حسب أهميتها، على النحو الذي يتمكن بموجبه من استخدامه بفاعلية لتحسين نوعية حياته، وحياة المحيطين به.

ويقدم علم النفس برامج متنوعة تمكّن الداعية من التدريب على كيفية إنفاقه لوقته في حياته اليومية في المجالات المتعددة، وتبصيره بالعوامل التي تهدر الوقت، والأسباب المسؤولة عن ذلك حتى يتمكن من الوعي بها؛ ومن ثم محاولة التحكم فيها في ممارساته اليومية، وتدريبه على الأساليب الفعالة لإدارة الوقت في مهامه الدعوية لكي يصبح أكثر فاعلية فيها.

٦- *مهارات تطوير الذات*: تشير عملية تطوير الذات إلى مدى وعي الداعية بأوجه القصور في قدراته ومهاراته الشخصية، ومحاولة تقييمها، والوقوف على الأسباب المسؤولة عنها، واستخدام بعض الأساليب الذاتية للتغلب عليها بغية رفع كفاءته الشخصية والمهنية الحالية والمستقبلية.

ومن هذا المنطلق فإن وعي الداعية بأهمية تلك العملية، وحرصه على التطوير المتواصل لذاته سيجعله أكثر قدرة على مواكبة التطورات التي تطرأ على البيئة المحيطة بمكوناتها التقنية والاجتماعية والسياسية على النحو الذي يجعله أكثر فاعلية في ممارسة مهامه الدعوية.

٧- *مهارات المحاجة*: تعرف المحاجة بأنها "قدرة الفرد على تنفيذ ودحض حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية، والواقعية، وحثه على التخلي عنها، والدفاع في الوقت نفسه عن آرائه، وتقديم حجج لإقناع الطرف الآخر بها، وذلك حين يحتاجون حول قضية خلافية"، وتتمثل أهمية المحاجة في أنها تساعد الفرد على التعبير عن أفكاره وآرائه ومشاعره وتصورات، وعرضها على الطرف الآخر بطريقة منطقية مقنعة مدعمة بالبراهين المنطقية، والأدلة الواقعية (Davies & Barnett, 2015)، فضلاً عن أنها تجعل الداعية أكثر قدرة على مواجهة مخالفه في الرأي، ومناقشة

أدلتهم وحججهم، ودحضها إن كانت متهافئة، وتغيير بعض الاتجاهات والمعتقدات السلبيّة لدى الجمهور نحو أشياء وموضوعات معينة على نحو يسهم في تعديل سلوكهم، كنتيجة لذلك، في الوجهة الصحيحة.

٨- *المهارات الاجتماعية*: يدير الداعية شبكة من العلاقات الاجتماعية مع الجمهور المتعاون معه، ومع رؤسائه، وزملائه، وهو بحاجة مع كل هذه الأطراف لأن يعمل على توثيق علاقته معهم من جهة وتقليل الصراعات ومحاولة التغلب على ما ينشب منها فيما بينه وبينهم، وفيما بين بعضهم بعضاً، من الجهة الأخرى، وعليه كذلك أن يتعامل مع تلك المعضلة التي تتمثل في وجوب أن يقترب من الجميع مع إشعارهم في ذات الوقت أنه صاحب هوية مستقلة يصدر فيما يطرحه من آراء عن اقتناع نابع من اجتهاد شخصي يسترشد فيه، في المقام الأول، بهدي الكتاب والسنة، والإجماع، وما تحطه تلك المصادر من أطر عامة في فهم النص وتنزيله على الواقع، ويجب أن يكون لديه، كذلك القدرة على التعبير عما يدور في نفسه من آراء، وما يجيش به صدره من مشاعر تتصل بالصالح العام.

٩- *المهارات القيادية*: يعد الداعية قائداً يمارس جميع مهام القائد فهو يوجه، ويؤثر، ويدعم المحيطين به، ويتخذ قرارات تخص المؤسسة (المسجد) التي ينشطون في ظلها، فضلاً عن أنه قد يصنع الأحداث، أو يسهم في تشكيل رد الفعل بشأنها، وبطبيعة الحال فإن تلك المهام تتطلب أن يكون الداعية بحاجة إلى المزيد من الاستبصار بالقوانين التي تحكم ظاهرة القيادة والتأثير في الآخرين، وتشكيل سلوك القائد، وردود فعل الأتباع، وبطبيعة علاقتهم به، وبالمنظمة التي يعملون في إطارها حتى يكون أكثر قدرة على إدراك تلك العلاقات وتوجيه تلك التفاعلات على نحو يجعل من اليسير عليه تحقيق الأهداف المنوطة به، ويذخر تراث بحوث القيادة بالعديد من البرامج

المستخدمة في تنمية المهارات القيادية من قبيل التدريب على اتخاذ القرار، ومواجهة الظروف العصيبة وإدارة العامل المشكل، وحل المشكلات، والتواصل مع الآخرين، والإبداع الإداري، وإدارة الاجتماعات، والتفاوض، والتأثير في قرار الجماعة.

ثالثاً: خصائص الخطاب الديني القويم

لكي يكون بمقدورنا أن نصف خطاباً دينياً معيناً بأنه خطاب قويم يسهم في تحقيق الغايات الإسلامية المأمولة، يجب أن يتسم هذا الخطاب بمجموعة من الخصائص المعيارية التي تجعله يحوز الجودة الدينية، والمجتمعية، على النحو الذي يجعله قادراً على تحقيق التقدم الشخصي والمجتمعي، وهي غايات إسلامية في المقام الأول، وتتمثل أبرز تلك الخصائص فيما يلي:

١- /استخدام مفاهيم معرفة تعريفاً محدداً، أو ما نطلق عليه في العلم معرفة تعريفاً إجرائياً Operation Definition أي أن الأشخاص المختلفين يفهمونها بمعنى واحد.

٢- /التقييم النقدي للنظريات المطروحة على الساحة العلمية للتأكد من أنها تستوفي المعايير النقدية قبيل التسرع في الاستشهاد بالنتائج المنبثقة عنها في تفسير نص ديني أو ترجيح اجتهاد فقهي على آخر.

٣- /إبراز التفاعل بين التراث النفسي والإسلامي، ونقاط الالتقاء المشتركة بين كل من التراث الإسلامي والنفسي، ولا غرابة في ذلك فمن فضل القول أن الإسلام قد قدم الكثير من القواعد التي تسعى للحفاظ على النفس بجوانبها المعرفية والوجدانية والبدنية، وفي المقابل فإنه يمكن وضع ما نجح علم النفس في بلوغه من قوانين، ومكتشفات، وتطبيقات عملية في مجال خدمة

المسلمين، وتمكينهم من تحقيق غاياتهم المشروعة الرامية إلى صقل مهاراتهم، وتنمية قدراتهم، والارتقاء بثقافتهم، وتقليل المعاناة في حياتهم، وتطوير نظم التعليم والإدارة في بلدانهم.

١- إدراك الخصوصية الثقافية للمنظور الإسلامي للإنسان وسلوكه مقارنة بالفكر الغربي. يجب على الداعية إدراك دور الثقافة في نشأة التباين بين منظور الفكر الإسلامي والغربي للإنسان وسلوكه، ذلك أن هناك جوانب تفرد لكل منهما وتشابه أيضاً، ولا غرابة في ذلك فالثقافات كالوجوه، ومن المفترض أن الثقافة هي نمط حياة مجتمع معين، وتعكس مجمل عاداته وقيمه وفنونه وآرائه وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ونظمه السياسية والتعليمية والدينية، ومما يترتب على ذلك وفقاً لمبدأ النسبية الثقافية، فعلى سبيل المثال ينظر الأمريكيون إلى الفتاة التي تترك منزل الأسرة في سن الثامنة عشر بوصفها فتاة ناضجة نجحت أسرتها في تنشئتها على أن تكون شخصية مستقلة، في حين أن من تمارس ذات السلوك في الثقافة المصرية يُنظر إلى أسرتها على أنها فشلت في تربيته، فضلاً عن طبيعة العلاقة المتبادلة بين الثقافات أو ما يطلق عليه التثقاف Acculturation والتي يحدث بموجبها تفاعل بين ثقافتين ينطوي على المزيد من أشكال التأثير والتأثر المتبادل بينهما؛ ومن هذا المنطلق يجب على الداعية أن يكون واعياً بمواطن الاختلاف بين ثقافة الغرب وثقافته، فضلاً عن مواضع التماس والالتقاء بينهما، وأن يستثمر الوعي بتلك الفروق الثقافية في إقامة علاقة أكثر نضجاً وتكاملاً بينهما على النحو الذي يسمح بمد الجسور بينهما، فعلى سبيل المثال بينما تركز الفلسفة الغربية على أن الإنسان ليس استثناء في المملكة الحيوانية (داروين)، ولا يسيطر على سلوكه،

فاللا شعور هو الأهم (فرويد)، وأنه خاضع ومبرمج (سكنر)؛ فإن الإنسان في الإسلام (خليفة) مسئول إيجابي يعمر الأرض سيد الكائنات (مكرم)، مفكر واع ومتسام روحاني (محمد عز الدين توفيق ١٩٩٨، ١٢٢ - ١٢٤). وكذلك فإن "الآخر" في الفكر الغربي ينتقص من حريتك (الوجودية) ويجب منافسته (البرجماتية) مع أنه في الإسلام أخ لك، عليك إن لم تؤثره على نفسك أن تعينه، وهكذا.

٥- الإمام الكافي بعلم النفس المعاصر: فكما هو معلوم أن هناك تطورات متسارعة في علم النفس تجعل من الصعب فهم، أو تمثّل، أو توظيف نتائجه على نحو فعّال دونما الإحاطة الدعوية المتواصلة بها، ومن الملاحظ أن عدم الاطلاع بدرجة كافية على الثقافة النفسية المعاصرة وعلى أطرها النظرية المعاصرة من شأنه أن يقلل من موضوعية الداعية ومصداقيته، فقد يتحمس لنظرية نفسية معينة، معتقداً أنها تخدم أهدافه الدعوية، ولكنه لا يعلم أنها أصبحت نظرية غير مرحّب بها علمياً في الغرب في الحقبة الراهنة، أي أن ما يعرضه أضحى في عداد المنسوخ علمياً، ومن الأمثلة التي تدعم هذا التصور محاولة بعضهم الاستفادة من البناء الفرويدي للشخصية، والذي يصنفها إلى ثلاثة مكونات رئيسية: الهو، والأنا، والأنا الأعلى، في مجال الدعوة إلى الإسلام على الرغم من أن جمهور الباحثين الغربيين لم يعودوا ينظرون للشخصية من هذا المنظور (عبد الحليم محمود، وطريف شوقي، وعبد المنعم شحاتة، ٢٠١٠).

٦- تجنب الاعتماد على الآراء الأحادية غير المثبتة: إن التفسيرات الناتجة عن النظر لزاوية واحدة من الموضوع لا تكشف عن معظم جوانبه يقلل

من مصداقيتها، ومن ثم يتناقص احتمال الاعتماد عليها في التفسير أو الدعم للنصوص الإسلامية، فعلى سبيل المثال؛ حين يبادر أحد العلماء في مجال الارتقاء الإنساني بالقول بأن العمليات الفكرية الراقية كإدراك المفاهيم المجردة تبدأ في سن العاشرة، فيجب على الداعية حينئذ ألا يتسرع بالقول بأن هذا هو سن التمييز الذي أشار إليه القرآن، فقد يكون هذا الباحث قد ركز على الجانب المعرفي فقط ولكنه لم يتطرق إلى الجانب البدني أو العصبي أو التربوي أو الاجتماعي، والذي قد يتباين عبر الثقافات المختلفة، ومن هذا المنطلق فإن مدى الاتساق مع النتائج المتواترة في العلم إعمالاً لمبدأ التراكمية تعد مسألة مهمة يجب على الداعية الاهتمام بها، وهو بصدد مناقشة ودعم وجهة نظر معينة على مستمعيه.

٧- *الالتزام بالموضوعية*، بوصفها إحدى الضمانات الأساسية للحفاظ على علمية العلم، وحياد العلماء، ومن ثم الثقة فيما يصلون إليه من نتائج، وبناءً على ذلك يجب على الداعية تجنّب إصدار أحكام لا تتسم بالقدر الكافي من الموضوعية مع أو ضد كل من التراث العلمي أو المذاهب الإسلامية الأخرى لا تقوم على قرائن قوية، وشواهد مؤكدة، فلا يعتقد أن التصور أو المذهب الذي يؤيده هو الأفضل دومًا؛ ويسوق الأحاديث الضعيفة والموضوعية لتأييد تصوراتهِ وما يذهب إليه، ويضخم من أهمية آراء معينة تدعم توجهه، ويتعمد تجاهل الآراء المعارضة لما يعتقد، أو يعرضها بصورة مجتزأة من سياقها متعمداً تشويهها، أو الحط من قدرها، أو التقليل من شأن قائلها بدلاً من مناقشة محتوى ما يقال، وهو ما يضر بمصداقيته وموثوقيته، وما يصل إليه من خلاصات.

٨- *إبراز تأثير الدين في السلوك الإنساني*، والصحة النفسية والبدنية، ومما يجدر ذكره في هذا السياق أن الدين بمثابة قوة محرّكة وموجهة للسلوك،

ويساعد الفرد على تفسير، ومواجهة، المواقف وخاصة العصبية منها، بصورة تجعله أكثر ثباتًا وتماسكًا (Hill & Parament , 2003)، وتحسين مهاراته الاجتماعية، وشعوره بالتفاؤل والرضا، ويساعده على التخفف من الأسى، ويزيد من ميله للمشاركة المجتمعية، ومن توافقه الزوجي، ومن تقانيه في عمله، ومما يدعم من هذا التصور أن مجلة الأخصائي النفسي الأمريكي American Psychologist أفردت عددًا خاصًا (عدد يناير ٢٠٠٣) لمناقشة العلاقة بين الدين والصحة (عبد الحليم محمود، وطريف شوقي، وعبد المنعم شحاتة، ٢٠١٠).

٩- عدم تقييم الأفكار والآراء والنتائج بمعزل عن إطارها السياقي والزمني، ويشير سيد عثمان (٢٠٠٠: ٧٨) في هذا الصدد إلى أنه يجب دراسة أفكار العلماء المسلمين في إطارها التاريخي بدلًا من أن نفرض عليها تصورًا من عندنا، فلا نقول مثلًا الأبحاث النفسية عند مفكر مسلم قديم؛ إذ إن تلك الأبحاث ظهرت كدالة للالتزام الباحثين في العلم الحديث بمناهج البحث فيه، لذا يجب تسميتها تأملات أو دراسات نفسية عند المفكرين المسلمين، ويجب ألا نكتفي بها بديلًا عن الفكر النفسي المعاصر، ويميل الداعية الذي يغفل عن مراعاة هذه المسألة إلى إصدار أحكام متحيزة تتطوي إما على إعلاء شأن مفكر مسلم من الأولين أو وصف أفكاره بأنها غير ملائمة ولا تتسم بالمنهجية مع أن الواقع ليس كذلك، وأن ما صدر عن هذا المفكر من رؤى إنما توافق مع ما كان متاحًا في عصره من معلومات، وأنه من المنطقي أن تقوده إلى ما توصل إليه من استنتاجات، في حين أن ما توافر لدينا الآن منها قد يؤدي إلى خلاصات مختلفة.

٩- تبني المنظور النقدي في التعامل مع كل من التراث النفسي والإسلامي:

فيما يتصل بمفهوم النقد فبمقدورنا القول أن النقد يعتبر أحد الآليات المحورية للتطور الفكري، والارتقاء الحضاري، ومن هذا المنطلق فقد أعلى علماء الحضارة الإسلامية الزاهرة من شأنه حتى أن العرب الأقدمين أطلقوا اسمه مرادفًا لأهم ما يملكه الإنسان ماديًّا في هذه الحياة الدنيا، ألا وهو النقد (المال)، كأنهم أرادوا أن يقولوا: إن من "يَنقُدُك" كأنه "يُنقِدُك"، لذا يجب على الداعية أن يتحلّى بقدرة نقدية مرتفعة يقوم بموجبها بنقد أفكاره وأحكامه الذاتية أولاً حتى لا يتعجل في تبني فكرة غير صائبة دونما معلومات كافية بشأن موضوع ما، أو إصدار قرار متسرع، وغير موضوعي، حول أفكار وآراء الآخرين، وحتى يتلافى التحيز مع أو ضد شخص أو توجه فكري معين، وأن يستخدم قدراته الابتكارية في اقتراح المزيد من الحلول للتغلب على أوجه النقد التي يبديها، كي يقترب من معيار الموضوعية.

رابعًا: تطبيقات علم النفس في مجال تنمية عقلية منتجي الخطاب الديني القيوم

ينصب اهتمامنا في هذا السياق بكيفية استفادة الداعية من نتائج ومكتشفات وقوانين علم النفس المعاصر في إثراء عقليته على النحو الذي يمكنه من إنتاج خطاب ديني قيوم، وسنعرض لأبرز التطبيقات في ذلك المجال على النحو التالي:

١- توفير بنية فكرية ومعلوماتية للداعية تيسر عليه إنتاج خطاب ديني قيوم، وذلك من خلال قيام كوكبة من علماء النفس بتوفير قاعدة بيانات حول الإسهامات والإشارات النفسية في الإنتاج الفكري لعلماء الحضارة الإسلامية، والتي من شأن اطلاع الداعية عليها تطوير وتعميق وإثراء

عقليته الدعوية؛ ومن ثم خطابه الديني، ومن نماذج تلك الجهود المشروعات العلمية النفسية التالية:

- إعداد دليل المفاهيم النفسية في التراث الإسلامي بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية، ويتمثل هذا المشروع في قيام كوكبة من الباحثين النفسيين المتميزين بتلخيص ما يربو على (٤٠٠) مرجع من أمهات الكتب، وعيون التراث الإسلامي في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية فيما لا يزيد عن خمس صفحات لكل كتاب (مثل كتاب الأم للإمام الشافعي - موطأ الإمام مالك - الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي - العقل وفهم القرآن للمحاسبي - البيان والتبيين للجاحظ - الأحكام السلطانية للمواردي - المناظير لابن الهيثم - القانون لابن سينا - أسرار البلاغة للجرجاني)، وعمل معجم يحوي المصطلحات والإشارات النفسية التي وردت بهذه الكتب حتى يسهل على الداعية التوصل إلى المفاهيم والإشارات النفسية في ذلك التراث العظيم؛ ومن ثم يوظفها في بناء خطابه الديني القويم (عبد الحلیم محمود، وطريف شوقي، وعبد المنعم شحاتة، ٢٠١١).

- المشاركة في برامج تأهيل الأئمة العاملين بوزارة الأوقاف لجعلهم أكثر وعياً بأسس علم النفس المعاصر وتطبيقاته في مجال خدمة الدعوة الإسلامية بما يجعل خطابهم الديني، وممارساتهم الدعوية أيضاً، أكثر حيوية واقترباً من الواقع الفعلي.

- التعاون مع دار الإفتاء المصرية في برامجها الطموحة للارتقاء بمفاتيحها بصور متنوعة منها المشاركة في البرنامج التأهيلي للمفتيين الجدد، والمشاركة في تنفيذ برنامج تأهيل المقبلين على الزواج، والإسهام في لجنة الاستشارات الأسرية والتي تقدم خدمة إرشادية من شأنها رفع مستوى التوافق الزوجي لمن يعانون من مشكلات زوجية تدعوهم للتفكير في طلب

الطلاق.

- إعداد مرجع رئيسي في أسس بناء الشخصية الإيجابية للمسلم المعاصر، يتضمن الأطر النظرية النفسية المعاصرة لبناء الشخصية الإيجابية وكيفية دمجها مع الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين في سبيكة معرفية واحدة، وتوظيفها في بناء تلك الشخصية، بما يوفر للداعية محتوى علمي متفرد من شأنه تطوير خطابه الديني وجعله أكثر عمقاً.

- انطلاقاً من سمو الغاية التي تناط بالعاملين في حقل الدعوة الإسلامية، فإنه من الضروري أن يتسم الداعية الذي يتصدى لهذه المهمة الجليلة بمجموعة من الخصال المتميزة، وأن يُعد إعداداً خاصاً يمكنه من إنجاز هذه المهمة بجدارة، وهو ما يدعونا إلى طرح مجموعة من المقترحات التي تيسر بلوغ تلك الأهداف قوامها:

أ- إعداد مقرر حول "الإسهامات النفسية في خدمة الدعوة الإسلامية"، يدرس للدعاة في مراحل تعليمهم الجامعي.

ب- إصدار سلسلة من الكتابات الصادرة عن هيئات علمية رسمية، أو غير رسمية، لتقريب التراث النفسي للدعاة، والتركيز على أن يطلع الدعاة، وبعث على التراث النفسي الغربي، حديثه ومعاصره لفهمه، وتمثله ونقده، وتطويره، وتوظيفه لخدمة مجتمعاتنا الإسلامية.

ت- توظيف التراث النفسي في تطوير أساليب تدريس مقررات الدين بمراحل التعليم المختلفة من خلال عمل دليل للأسس النفسية التي تساعد مخططي برامج التربية الإسلامية في تقديم محتوى المقررات الدراسية بأسلوب ملائم لمختلف المراحل التعليمية بما يساعد على بناء شخصية إيجابية، ومنتزعة، وفعالة تعزز بالثقافة الإسلامية، ومفتحة على الخبرات المحلية، والعالمية، وقادرة على التفاعل مع

الآخرين، وتفهم مشاعرهم، وأفكارهم، دون فقدان الهوية الإسلامية، وذلك من خلال استعانة هذه المقررات بنتائج البحوث النفسية حول الظواهر المهمة في حياتنا كالسلوكيات غير الصحية، والعزوف عن المشاركة المجتمعية، والطلاق، والعنف الأسري، والتعصب الديني والطائفي (طريف شوقي، ٢٠٠٣؛ عبد الحليم محمود وطريف شوقي، ٢٠٠٥).

ث- التعامل مع خطبة الجمعة بوصفها جامعة مفتوحة، فهي عبارة عن برنامج إثرائي^١ لتعليم المسلمين وتوسيع مداركهم ومعلوماتهم، لذا يجب أن تكون هناك خطة محددة في ذهن الداعية لتوجيه وتوظيف تلك الاجتماعات الدورية له مع جمهوره بصورة أكثر فاعلية، فعليه على سبيل المثال أن يتخيل أن بعض المصلين قد ينتظمون في حضور خطبة الجمعة معه لمدة أربع سنوات (بواقع ٢٠٨ خطب)، وبذا يمكنه إعطاؤهم أسس عشرين علماً شرعياً بواقع علم شرعي واحد كل عشر خطب، وهكذا، بمعنى أن من ينتظم معه في الحضور سوف يحصل بعد أربع سنوات على ليسانس علوم إسلامية - جمعة أو جامعة مفتوحة.

^١ حين نفترض ثبات جزء ولو كان يسيراً من الجمهور المستمع لخطبة الجمعة عبر الزمن، وهو ما يعد أحد أركان عملية التعليم النظامية، يمكننا تقديم برنامج تعليمي للإسلام لهذا الجمهور خلال الخطبة على مدى الأعوام، مثل نظام الساعات المعتمدة في الجامعات الحديثة.

المراجع:

- سيد أحمد عثمان (٢٠٠٠)، الذاتية الناضجة: مقالات في ما وراء المنهج، القاهرة: الأنجلو المصرية.
- طريف شوقي (٢٠٠٣)، تحليل نقدي من منظور نفسي لمحتوى مقرر للدين بالمرحلة الثانوية بأستراليا، ندوة بناء المناهج : الأسس والمنطلقات، الرياض: جامعة الملك سعود.
- ----- (٢٠٠٩)، تنمية التفكير متعدد الرؤى كاستراتيجية لمواجهة التطرف الفكري، المؤتمر الأول للأمن الفكري، الرياض :جامعة الملك سعود.
- ----- (٢٠١٦)، الاستخدام الحكيم للإنترنت، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ----- (٢٠١٧)، نحو بناء استراتيجية للإدارة الفعالة للتطرف الفكري، مجلة الفكر المعاصر، ٢٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٤٠ - ٦٨.
- عبد الحليم محمود، وطريف شوقي (٢٠٠٥)، الأسس النفسية لإعداد مقررات التربية الإسلامية بمراحل التعليم العام في عبد الرحمن النقيب وآخرون، كيف نعلم أولادنا الإسلام بطريقة صحيحة، العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: دار السلام، ٢١٩، - ٢٦٠.
- عبد الحليم محمود، وطريف شوقي، وعبد المنعم شحاتة (٢٠١٠)، تحليل الكتابات النفسية ذات المنظور الإسلامي، القاهرة: الجمعية العربية للتربية الإسلامية بالتعاون مع مكتبة نهضة مصر.

- عبد الحليم محمود، وطريف شوقي، وعبد المنعم شحاتة (٢٠١١)، دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية بالتعاون مع دار السلام للطباعة والنشر.

- محمد عز الدين توفيق (١٩٩٨)، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة: دار السلام للنشر.

Davies , M & Barnett ,R (2015) ,*The Palgrave Handbook of Critical Thinking in Higher Education: India* ,Palgrave Macmillan.

He , K(2017), *A Theory of Creative Thinking : Construction and Verification of the Dual Circulation Model* , Singapore: Springer.

Hill, P.c & Pargament , K (2003), Advances in the Conceptualization and Measurement of Religion and Spirituality, American psychologist, January, 58.1 64 – 74.

Sewell, A., & Hulusi , H.(2016), Preventing Radicalization to Extreme Positions in Children and Young People. What does the Literature Tell us and Should Educational Psychology Respond?, Theory, Research and Practice in Educational Psychology, Rutledge, (Online) Journal homepage: <http://www.tandfonline.com/loi/cepp20>.